العنوان: العلاقات المغربية - النورمانية خلال القرن الثالث الهجري (9م) من خلال بعض الكتابات الوسيطية
المصدر: أعمال ندوة المغرب وبلدان أوربا الشمالية - رؤى متقاطعة
الناشر: جامعة ابن زهر - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي: بوتشيش، إبراهيم القادري
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 1993
مكان انعقاد المؤتمر: أكادير
الهيئة المسؤولة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن زهر
الشهر: أبريل
الصفحات: 37 - 47
رقم MD: 417769
نوع المحتوى: بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: السياسة الخارجية، المغرب، الدول الاسكندنافية، النومان، قرن 3هـ، الاتفاقيات الخارجية، الحروب والمعارك، الأساطيل البحرية
رابط: https://search.mandumah.com/Record/417769

العلاقات المغربية - النورمانية خلال القرن الثالث الهجري (9 م) من خلال بعض الكتابات الوسيطية

إبراهيم القادري بوتشيش
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- مكناس -

رغم بعد الشقة بين المغاربة والشعوب الاسكندناقية، وتباين الظروف البيئية والجغرافية، وصعوبة الرحلة والتنقل التي ميزت عالم العصور الوسطى، فقد وقع امتزاج بشري، واحتكاك حضاري بين الطرفين، تشهد على ذلك أسماء بعض المواقع العمرانية التي سجلت حضورها الفعلي في هذا البلد أو ذاك، وحسبنا أن إحدى أبواب مدينة أصيلة ظلت تحمل طيلة الحقبة موضوع الدراسة اسم «باب المجوس»، نسبة إلى الجماعات النورمانية التي وفدت على هذه المدينة المغربية واحتكت بأهاليها.

وبالرجوع إلى التراث المصدري الذي بين أيدينا - رغم ضآلته - يتضح أن خيوط العلاقات المغربية - الاسكندناقية في العصر الوسيط، بدأت تتجدر ابتداء من القرن الثالث الهجري -9م) عندما نجحت شعوب الڤيكينج في بناء قوة بحرية نشيطة مكنتها من التنقل البحري السريع من أقصى شمال أوروبا إلى شواطئ المغرب الشمالية، مرورا بالساحل الغربي الأندلسي.

وللأسف، فإن المادة التاريخية المتاحة لا تسعف في رسم صورة متكاملة عن هذه العلاقات، فهي في مجملها شحيحة ومقتضبة، بسبب ضياع معظم الأسطوغرافيا المغربية الوسيطية، ناهيك، عما ميز رواتها من تشنج وتعصب في بعض اللحظات الانفعالية التي كتبوا فيها مصنفاتهم، مما يجعلها في حاجة إلى إعادة قراءة، وتحليل دقيق يسعى إلى تشريح مكونات هاته العلاقات التي تميزت بطابع الصراع أحيانا، وبالنزعة السلمية والموادعة أحيانا أخرى.

وقبل رصد تموجات هاته العلاقات، من المفيد أن نتساءل أولا عن موقع النورمان في الكتابات العربية الوسيطية ؟

تطلق معظم الروايات الإسلامية الوسيطية على الشعوب الاسكندنافية اسم (المجوس) أو (الأردمانيين)[1] وقد سموا بالمجوس لأنهم كانوا – حسب هذه الرويات – من عباد النار قبل أن يدينوا بالمسيحية. ويرجع كل من اليعقوبي [2] والمسعودي [3] أصلهم إلى الجنس الروسي، وهو مجرد وهم سقطا فيه.

وعلى غرار مؤلفات المؤرخين المشارقة، برزت إشارات ونصوص عن النورمان في الكتابات المغربية الوسيطية، وهو ما يعكس الاهتمام الذي أولاه المغاربة لهذه الشعوب. ولا غرو فقد أشار إليهم كل من البكري [4] والإدريسي، [5] وابن عذاري [6] وابن خلدون [7] وغيرهم وكلهم استعملوا مصطلح (المجوس) كصيغة دلالية للتعبير عن هذه الشعوب الأوروبية الشمالية التي وفدت غير ما مرة على المغرب.

ومن خلال رصد مختلف النصوص، يتضح أنهم تمكنوا من تأسيس أسطول بحري قوي، قوامه عدة سفن فعالة وسريعة، تشير إليها المصادر باسم (القراقير)، وهي مراكب بحرية هائلة ذات قلاع مربعة تتحرك من الأمام إلى الخلف. ومصطلح (قراقير) لفظ عامي يعني الضفادع، وربما يكون اللفظ قد جاء من شكل هذه السفن التي تشبه الضفادع. وقد عرف النورمان بقوة بأسهم وجلدهم وشجاعتهم وطول باعهم في الفضاء البحري، وحسبنا أنهم «كانوا يغلبون

1. المسعودي : مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة 1965. ج 1، ص : 163.
اليعقوبي : كتاب البلدان. طبعة النجف 1917. (ط 2). ص. 105.
العذري : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار. تحقيق عبد العزيز الأهواني. مدريد 1965، ص : 118.
2. كتاب البلدان ص : 105.
3. مروج الذهب. ص : 163.
4. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. تحقيق دي سلان. الجزائر 1911، ص : 92.
5. صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس. مقتبسة من كتاب نزهة المشتاق. نشره DECOEGE. طبعة ليدن 1894. ص : 179.
6. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق بروفنسال وس. كولان طبعة بيروت 1980. ج 2. ص : 87.
7. كتاب العبر. طبعة بيروت 1979. ج. 4، ص : 190.

كل من لقوه في البحر »،[8] وكان من عادتهم القيام بهجمات بحرية خاطفة على المغرب والأندلس على رأس كل ستة أو سبعة أعوام بأسطول قوامه 40 إلى 100 مركب. [9].

إن هاته المعلومات التي خلفها المؤرخون والجغرافيون المغاربة عن النورمان، الخير دليل على الحضور الاسكندناقي في المخيال المغربي. ولا غرو فقد تناولت مؤلفاتهم الحديث عن قوة الأسطول النورماني وأخبار انسيابهم نحو أراضي الأندلس والمغرب. ولا شك أن قوة هذا الأسطول كان عاملا حاسما في تقليص المسافة بين شعوب أوروبا الشمالية والمغاربة، وتواجد هؤلاء في أراضي أولئك، مما خلق فرصة للاحتكاك والتواصل. ورغم تباين أشكال هذا التواصل وتناوبه بين السلم والحرب، فقد ترك بصمات واضحة في مسار تاريخ العلاقات بين البلدين.

قبل تسليط الأضواء على جوانب تلك العلاقات، من المفيد إبداء ملاحظة أولية، هي أنه لا يمكن قراءة وقائع الحضور الاسكندناقي بالمغرب بمعزل عن الأندلس. فقد شكلت هذه الأخيرة معبرا دائما وأساسيا بالنسبة للأسطول النورماني، ومن ثم يستلزم الأمر دمج وقائع تاريخ المغرب والأندلس معا لإماطة اللثام عن علاقات المغرب مع النورمان أو الدول الاسكندناقية خلال العصر الوسيط.

وبالمثل، نعتقد أنه لا يتأتى فهم العلاقات المغربية النورمانية في القرن الثالث الهجري (9م) بقطع النظر عن الهاجس الاقتصادي الذي كان المحرك الدينامي لعلاقات الشعوب آنذاك. كما لا يمكن رصدها رصدا واقعيا دون ربطها بمحيطها الأوروبي الذي كان المحرك الدينامي لعلاقات الشعوب آنذاك. كما لا يمكن رصدها رصدا واقعيا دون ربطها بمحيطها الأوروبي الذي انطلقت منه. وحسبنا أن حملات النرويجيين بدأت تتدفق على السواحل الأوروبية منذ القرن السابع الميلادي. وفي سنة 887 م (274 هـ) بدأوا في شن هجومات كاسحة على الشاطئ الأنجليزي. وبعد ثلاث سنوات أغاروا على سواحل إيرلندة، في الوقت

8. مؤلف مجهول : نص أندلسي يتعلق بالسنين الأولى من حكم الخليفة الناصر لدين الله. نشره بروڤنسال وغرسية كومس مع ترجمة إسبانية. تحت عنوان :
Una crónica anonima de Abd Al Rahman Al Nasir.
طبعة مدريد 1950، ص. 215.
9. نفس المصدر والصفحة.

الذي كان الاكتساح الدانماركي لمملكة الفرنجة قد ابتدأ منذ سنة 734 م (116هـ)[10] وسواحل غاليا منذ سنة 844 م (230 هـ) [11].

بديهي أن تسهل هذه الانتصارات السريعة التي حققها النورمان في عقر الديار الأوروبية، انسيابهم نحو المناطق الأخرى. ولما كانت الأندلس تقع في المحطة الموالية، وتشتمل على شواطئ خصبة، فإنهم وجهوا سفنهم نحوها. وكانت الخطة النورمانية تقوم على أساس تجنب الأماكن المحصنة بوسائل الدفاع والحراسة، ومهاجمة السواحل المكشوفة [12] كالسواحل الغربية للأندلس، والشمالية والغربية للمغرب الأقصى.

ومما حفزهم على مواصلة السير نحو المغرب والأندلس، افتقار هذين البلدين معا إلى أسطول بحري قوي. فالثورات والقلائل الداخلية، والطبيعة الصحراوية والجبلية في المغرب، فضلا عن الحروب الدائمة ضد الممالك المسيحية بالنسبة للأندلس، كلها عوامل أبعدت أمراء العدوتين على التفكير في تأسيس أسطول بحري، وهو ما جعل العدوتين على التفكير في تأسيس أسطول بحري، وهو ما جعل النورمان ينتبهون إلى نقطة الضعف هاته في نظامهم الدفاعي البحري [13]. فحتى المحاولة الوحيدة التي قام بها الأمير محمد لتأسيس سفن بحرية باءت بالفشل بعد أن دمرتها عاصفة مهولة سنة 266 هـ (879م) [14]، مما يسر مأمورية كل القوى المسيحية وضمنهم النورمان أنفسهم [15].

---

10. حاطوم : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا. لبنان (ط 1) 1976. ج 1، ص : 389.

11. PROVENCAL : Histoire de l'Espagne Musulmane. Ed. Paris. (Maisonneuve) Leiden. J. Brill 1950. Tome II. P. 310.

12. أحمد مختار عبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي. طبعة بيروت 1979، ص : 349.

13. السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار عبادي : تاريخ البحرية في المغرب والأندلس، طبعة بيروت 1979. ص : 148. وانظر كذلك :

ROSSEWST : Histoire d'Espagne depuis les premiers temps jusqu'à la mort de Fernand VII Ed. Paris. p : 314.

14. ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الأندلس. القطعة الخاصة بالأمير محمد. نشرها محمود علي مكي طبعة بيروت 1973. ص : 398 - ابن عذاري : م.س. ص : 103 - 104 لويس : السيادة الاسلامية. نشر ضمن كتاب : دراسات إسلامية ترجمة مجموعة من الأساتذة. طبعة بيروت - نيويورك 1960.

15. VIARDOT : Histoire des Arabes et des Maures d'Espagne. Ed. Paris 1965. Tome I, p : 146.

حسب رواية البكري [16]، اتجه النورمان نحو الشواطئ المغربية قبل الأندلس، وحسبنا أنه أرخ لحلولهم بمدينة أصيلة الواقعة في الساحل الأطلنطي للمغرب سنة 229 هـ /834م قبل أن يرحلوا في نفس السنة نحو الأندلس. لكن رواية ابن خلدون، [17] ترجع خبر دخولهم الشواطئ الأندلسية إلى سنة 226 هـ /840م، وهو الرأي الأرجح، لأنه لا يعقل أن يمروا إلى المغرب عبر شواطئ الأندلس دون أن يعملوا على جس نبضها والقيام بحركات استطلاعية إن لم يقوموا بغارات كاسحة.

وإذا ما تجاوزنا تضارب روايات المؤرخين، تبين أن طلائع النورمان بدأت تفد على المغرب منذ سنة 229 هـ (843 م). يعتبر البكري من الذين انفردوا بذكر خبر وصولهم إلى مدينة أصيلة، إذ أورد أنهم حلوا بها مرتين، محاولا كشف النقاب عن الأسباب التي حدت بهم إلى دخولها.

ففي المرة الأولى، يذكر هذا الجغرافي أنهم قدموا إليها مدفوعين برغبة سلمية. وحسبنا أنهم طلبوا من سكان أصيلة السماح لهم باستخراج أموال وكنوز ادعوا أنها كانت في ملكيتهم، مقابل اقتسامهم إياها مع سكان المدينة. وبعد أن وجد هذا الاقتراح صدى طيبا في نفوس الأهالي، شرع النورمان في حفر موضع استخرجوا منه دخنا طاله التعفن، فلما رآه سكان أصيلة خالوه ذهبا فبادروا إلى الاستحواذ عليه، غير أنه تبين لهم بعد ذلك أنه مجرد دخن، فرغبوا إلى النورمان في مواصلة بحثهم عن تلك الكنوز، غير أن هؤلاء رفضوا ذلك تحت حجة انعدام الثقة، لذلك أقلعوا بسفنهم متوجهين نحو الأندلس. وإذا صحت هذه الرواية، فإنها تعكس أول اتصال فعلي وقع بين المغاربة والاسكندنافيين في الحقبة الوسيطية. [18]

أما الاتصال الثاني الذي مكن الطرفين من التقارب والاحتكاك، فإن البكري لم يحدد تاريخه ولكنه ذكر سببه، ويتجلى في أن الرياح دفعت مراكب النورمان نحو ميناء أصيلا، وعطلت سفنهم التي استقرت أمام إحدى أبواب المدينة فأصبحت تعرف بـ (باب المجوس) [19] كناية عن النورمان.

بعد ذلك توجهت سفنهم نحو الأندلس سنة 229 هـ، فباغتوا مدينة أشبونة

16. المغرب ... ص : 92.

17. كتاب العبر، ص : 129.

18. البكري : م.س. ص : 111 - 112.

19. نفس المصدر والصفحة.

التي بعث عاملها وهب الله بن حزم رسالة إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط يخبره فيها أن (المجوس) حلوا بشاطئ المدينة بأسطول بلغ 54 مركبا. فأجابه الأمير بالتحفظ والانتظار، غير أن أهالي المدينة قاموا برد الهجوم من تلقاء أنفسهم. [20]

وفي السنة التي تلتها، نزل النورمان في سواحل إشبيلية، وأقاموا بها سبعة أيام حسب بعض الروايات، أو 13 يوما حسب روايات أخرى، [21] وذلك قبل توجههم لمهاجمة قادس وشذونة وجزيرة القبطيل CAPTEL من إقليم إشبيلية، وجعلوا كل مقاومة من طرف أهالي هذه المدن مجرد محاولة يائسة، ثم مضوا إلى موضع يعرف بمشدوم، وهناك قاومهم السكان بضراوة واستطاعوا أن يحصدوا سبعين رأسا من المغيرين، ويجبروا الناجين منهم على العودة نحو سفنهم، [22] ثم نضهوا إلى شذونة حيث جرت معركة ثانية بين الجيش الرسمي للأمير عبد الرحمن الأوسط أسفر عن مقتل 500 رجل من النورمان، وأحيل بينهم وبين مراكبهم التي تم إحراقها، [23] ثم أوقع الجيش الأندلسي بهم هزيمة أخرى في قرية تدعى طلياطة، وأحرق لهم ثلاثين مركبا، [24] وتم قتل قائدهم. وعقب ذلك أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط رسالة إلى سكان طنجة يبشرهم فيها بهذا النصر. كما بعث لهم برأس قائد النورمان ومائتي رأس من جنودهم[25].

على أن الغيوم التي لبدت سماء العلاقات بين المغاربة والنورمان سرعان ما انقشعت بعد أن جنح هؤلاء إلى طلب الصلح، وقرر الأمير المذكور بعث سفير إلى الملك النورماني هوريك. وقد انفرد ابن دحية [26] عن جمهرة المؤرخين بذكر أخبار هذه السفارة التي اختلف الدارسون المحدثون في صحتها. فبينما يؤكد بالنثيا[27]

---

20. العذري : م.س.، ص : 98.
21. يعطي ابن عذاري تفاصيل هامة عن هذا الهجوم النورماني. انظر : البيان ج 2، ص : 87.
22. بيضون : الدولة العربية في إسبانيا. طبعة بيروت 1978، ص. 225.
23. العذري : م.س. ص : 99.
24. ابن عذاري : م.س. ج 2، ص : 87.
25. نفس المصدر والصفحة.
26. المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق إبراهيم الابياري. طبعة القاهرة 1954، ص : 133 – 151.
27. تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة حسين مؤنس. طبعة مدريد 1945 (ط 1) ص : 55 - 56.

وغيره [28] سفارة يحيى الغزال إلى بلاط النورمانيين، يذهب بروفنسال [29] إلى الشك فيها بدعوى أن المصادر، سيما مصنفات ابن حيان لم تشر إليها.

ورغم ظلال الشك التي خيمت على تفكير بروفنسال تأسيسا على انعدام إشارات إليها في الحوليات التاريخية، خاصة مؤلفات ابن حيان، فإنه لا يمكن اتخاذ هذا التبرير حجة قاطعة على صحة تخريجه، ذلك أن أجزاء كبيرة من تاريخ ابن حيان قد طواها الزمن كما نعلم. كما أن طلب النورمان الصلح لا يمكن إلا أن يعقبه - منطقيا - اتفاقية سلام. وحتى إذا اتفقنا جدلا أن تلك السفارة محض خيال، وأنها مجرد انعكاس للأسلوب القصصي الخيالي على المخيال الشعبي، فإن مثل هذا الطرح يفسر إلى حد كبير الرصيد السيكولوجي لإيجاد مرجعية للعلاقات الودية بين شعوب المنطقتين.

ومهما كان الأمر، فإن ابن دحية أسهب في ذكر أخبار هذه السفارة التي قام بها يحيي الغزال نحو بلاد الدانمارك. وقد عرف هذا الأخير باسم الحكيم لحسن التصرف في الأمور وجزالة الكلام والحوار وسرعة البديهة، وبراعة التخلص من المأزق الذي يحاول أن يضعه فيه الخصم. [30] لذلك اختاره الأمير عبد الرحمن الأوسط مبعوثا سفيرا إلى ملك الدنمارك المذكور ليعقد معاهدة صلح ومسالمة، مباشرة بعد سفارته الناجحة بين قرطبة ودولة بزنطة.

ويخيل إلينا أن الخطوط الأولى لهذه الاتفاقية قد تم رسمها مع النورمان في الأندلس عندما طالب هؤلاء بالصلح، على أن تتوج بمعاهدة شاملة في الدانمارك، وهو ما جعل هذا السفير يبحر توا إليها. وقد لاقى يحي الغزال والوفد المرافق له هولا شديدا في البحر كما يتجلى ذلك من خلال الأشعار التي خلفها [31]. غير أنه

---

28. أحمد أمين : ظهر الاسلام. طبعة بيروت 1969. ج 3 ص : 107 - 108 وانظر كذلك :

W.E.D. : The poet and the spae - wife : An attempt to reconstruct Al-Ghazal's embassy to the Vikings : London 1960.

29. الاسلام في المغرب والأندلس. ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي. طبعة القاهرة - الفجالة (دون تاريخ) نهضة مصر. ص : 112 - 114.

30. أحمد أمين : م.س. ص : 107.

31. مما نظمه يحيى الغزال في هذا الشأن :

قال لي صحبي وصرنا	بين موج كالجبال
وتولتنا رياح	من دبور وشمال
فرأينا الموت رأي العين	حالا بعد حال

انظر : PONS BOIGUES M Los historiadores y geografos Arabigo. Espagnoles (800 - 1450). Amsterdam - philopress. 1972, p : 42.

تمكن من الوصول سالما إلى البلاط الدانماركي حيث تلقاه الملك هوريك لقاء حارا، وأحسن وفادته وأكرم ضيافته. وتذكر المصادر أن السفير سلمه كتاب الأمير عبد الرحمن الأوسط. لكننا نجهل كل شيء عن فحوى هذا الكتاب، وما تمخضت عنه هذه السفارة من نتائج، لأن الرواية التي أوردت الخبر لم تسجل القضايا التي دار حولها الحوار في تلك السفارة، ولا النتائج التي أسفرت عنها، لأنها تنتقل بنا مباشرة إلى ذكر خبر تعلق الغزال بتودا امرأة الملك الدانماركي، وإعجاب هاته الأخيرة وولعها به [32]. ولعل هذا ما يحمل على الظن بنجاح السفارة التي انتهت بهذا الأسلوب من الود والموادعة، وهو ما يفسر خفوت الهجمات النورمانية، بل وانعدامها إلى غاية سنة 245 هـ /859 م. إن مثل هذه المعطيات تبين زيف أسطورة «العداء السياسي»، وحقيقة انصهار شعوب المنطقتين.

غير أن وفاة هوريك ملك الدانمارك جعل أعقابه يتراجعون عن سياسة السلم والموادعة، ويلجأون مرة أخرى إلى الإغارة على السواحل الأندلسية والمغربية سنة 245 هـ /859 م انطلاقا من قواعدهم التي أقاموها على السواحل الغربية لبلاد الغال. (33)

وتختلف الرواية العربية بصدد الهجوم الجديد في تحديد سنة وقوعه والنتائج التي تمخضت عنه. فبينما يحدده العذري [34] وغيره [35] بسنة 245 هـ يجعله ابن القوطية [36] والبكري [37] سنة 244 هـ. كما تضاربت رواياتهم كذلك حول نتيجة

---

32. مما نظمه يحيى الغزال في حب هذه الملكة :

كلفت يا قلبي هوى متعبا ... غالبت منه الضيغم الأغلبا
إني تعلقت مجوسية ... تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله في حيث لا ... يلفي إليها ذاهب مذهبا
يا تود يا رود الشباب التي ... تطلع من أزرارها الكوكبا

33. السيد عبد العزيز سالم : م.س. ص : 162.
34. ترصيع الأخبار ، ص : 118.
35. ابن الأثير : الكامل في التاريخ طبعة بيروت 1965 ج 7، ص : 90 – ابن خلدون : م.س. ج. 4، ص : 190.
36. تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع. طبعة بيروت 1958، ص : 88.
37. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص : 92

الهجوم النورماني الجديد، إذ يشير بعضهم إلى هزيمة مسلمي الأندلس، ونجاح النورمان في دخول الجزيرة الخضراء وإحراق مسجدها الجامع، والتنكيل بأهالي تدمير، واستشهاد قائد البحرية الأندلسية خشخاش في الوقت الذي لم تتجاوز خسائر النورمان إعطاب أربعين مركبا، (38) بينما يكتفي البعض الآخر بذكر عدد السفن التي خسرتها القوات المغيرة وانسحابها من الأندلس، (39) في حين يحصر مؤرخون آخرون خسائرها في مركبين فقط. (40)

ومهما كان الأمر، فقد كان الاجتياح النورماني الثاني للأندلس فرصة أخرى اهتبلها النورمان للدخول إلى السواحل المغربية الشمالية، وبالذات إلى مدينة نكور (42) وفي هذا الصدد يذكر البكري (43) أنهم (تغلبوا عليها وانتهبوها، وسبوا من فيها إلا من خلصه الفرار. وكان فيمن سبوا أمة الرحمن وخنعولة ابنتا واقف بن المعتصم بن صالح، ففداهن الإمام محمد بن عبد الرحمن».

ورغم ضراوة الهجوم النورماني على الساحل المغربي، فإنه لم يكن واردا في حسبان النورمانيين البقاء في نكور، حيث استغرق وجودهم بها مدة قصيرة. وفي هذا الصدد يقول البكري (44) : «وأقامت المجوس بمدينة نكور ثمانية أيام». معنى ذلك أن الغزو النورماني كان يتميز بظرفيته القصيرة وبحثه عن موارد الرزق، لذلك سرعان ما يمم النورمان وجههم شطر الأندلس للإغارة عليها للمرة الثالثة سنة 247 هـ /861م إذ هاجموا سواحل الجزيرة الخضراء وريه، (45) غير أنهم لم يفوزوا بطائل هذه المرة لأن البحرية الأندلسية أصبحت من القوة والكفاءة ما مكنها من

---

38. ابن حيان : م.س.ص : 308 - 309 العذري : م.س. ص : 119.

39. ابن القوطية : م.س. ص : 88.

40. ابن الأثير : م.س. ج 7، ص : 90. ومن هذه الرواية اقتبس بروفنسال رأيه انظر : مرجعه السابق، ج.2 ص : 311 وكذلك : ROSSEWST : op: Cit, p : 313 - 314

وانظر أيضا : عنان : دولة الإسلام في الأندلس. طبعة القاهرة 1960 (ط 3) ص : 292. وكذلك : سيديو : تاريخ العرب العام. ترجمة عادل زعيتر. القاهرة 1980، ص : 312.

41. العذري : م.س. ص : 118 - ابن الأثير : م.س. ص : 90.

42. حجي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة طبعة دمشق. الكويت. الرياض 1976. وانظر كذلك : PROVENÇAL : Op, Cit, p : 311.

43. المغرب ... ص : 92.

44. نفس المصدر والصفحة السابقة.

45. ابن عسكر : فقهاء مالقة وأدوباؤها (مخطوط الخزانة الحسنية رقم 1055) ورقة 137. وقد ورد خبر هذا الهجوم النورماني في ترجمة عبد السلام بن ثعلبة وإلى مدينة ريه في هذا التاريخ.

ردع سفن المغيرين وإعطاب بعضها وانسحاب ما تبقى منها.

وبعد هذا الهجوم النورماني، تختفي أخبار الإغارات النورمانية حتى القرن 4 هـ (10م) وهو ما يسمح بالتخمين بأن فترة طويلة من السلم وحسن العلاقات تمت بين الطرفين المغربي والاسكندنافي.

يتضح من خلال المسح العام للعلاقات المغربية النورمانية في القرن الثالث الهجري (9 م) أنها عرفت أطوارا من الحروب والسلم على غرار كل شعوب عالم العصور الوسطى. ويمكن من خلال قراءة تحليلية لمسار هاته العلاقات تسجيل الملاحظات التالية :

1. إن الوجود الاسكندناڤي بالمغرب قد ركز على المدن الساحلية، ولم يتسرب إلى الداخل، وهو أمر بديهي إذا ربطناه بالبحرية النورمانية المتفوقة.

2. تميزت العلاقات بين المغرب والدول الاسكندناڤية بروح السلم والود أحيانا، وبالتوتر أحيانا أخرى. ينهض دليلا على المنحى الأول ما تذكره المصادر عن توجه النورمان نحو أصيلة بروح سلمية، بل واقتراح الطرف النورماني أن يسمح له سكان المدينة المغربية المذكورة باستخراج بعض الأموال والكنوز مقابل اقتسامها بين الطرفين كما سبق الذكر. غير أن هذا الجانب السلمي لا يمكن أن يخفي التوتر الذي ساد كذلك بين الجانبين، لكن يجب وضع هذا التوتر في إطار الظرفية التاريخية التي أفرزته. فالغارات التي شنتها جحافل الڤيكينج اعتبرت من جانبهم مصدرا للرزق. كما أن المياه المتوسطية كانت تستقطب اهتمامهم نظرا لما كان للبحر المتوسط من أهمية في التجارة الدولية والأسطول العالمي بصفة عامة. فالتوتر الذي ساد أحيانا بين الجانبين يدخل في منظومة الصراع بين مختلف الشعوب للسيطرة على مياه البحار خاصة البحر الأبيض المتوسط، وهو ما يفسر تعاظم النشاط البحري للنورمان ووصولهم إلى جزر البليار. وتقدم مدينة نكور المغربية التي دخلوها حجة على ما نذهب إليه، ولا غرو فقد كانت تحتل مكانة استراتيجية في المياه المتوسطية، وكانت على علاقة وطيدة مع مدينة ألمرية التجارية [46]، لذلك لا غرابة أن ترنو أبصارهم إليها.

3. تميز الصراع بين الطرفين بطابعه المؤقت، فالنورمان لم تحركهم نزعات استعمارية تسعى إلى الاحتلال والاستيطان الدائم، بل كانت حركتهم عابرة في

---

46. السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار عبادي : م.س. ص : 61.

الغالب الأعم.

4. إن التواجد النورماني في السواحل الأندلسية والمغربية اكتسى بعدا اقتصاديا محضا، إذ كان النورمان يهدفون من خلال غاراتهم الحصول على الغنائم، وكذلك بعض الأسرى لافتدائهم بأموال تدر عليهم الأرباح.

5. لم يكن الصراع مقصودا أو مخططا له سلفا، بل جاء ضمن سلسلة من الهجومات التي شنها النورمان على السواحل الأوروبية، وقادتهم سفنهم إلى سواحل الأندلس والمغرب، بل أحيانا لعبت العوامل المناخية دورا في وفودهم على مدن مغربية كما هو الحال بالنسبة لأصيلة التي دفعتهم الرياح إلى ساحلها دون قصد أو نية مبيتة. (47).

6. تمخض عن الإغارات النورمانية على شواطئ الأندلس والمغرب نتائج إيجابية منها تدعيم البحرية المغربية - الأندلسية. ولا غرو فإن أمراء المغرب والأندلس لم يكونوا يعيرون اهتماما لهذا الجانب. لكن بعد الهجومات المتكررة للنورمان، عملوا على تقوية أسطولهم البحري. (48) كما حرصوا على تمتين التحصينات وأسوار المدن على الخصوص.

ونحن في غنى عن القول أن تقوية الأسطول المغربي خلف أثرا بعيد الغور في مسار العلاقات المغربية النورمانية، فقوة هذا الأسطول جعلت النورمانيين يجنحون نحو السلم والموادعة وطلب الصلح (49) لتقل هجوماتهم في القرن 4 الهجري قبل أن يكفوا نهائيا عن الإغارة على الشواطئ المغربية في القرون اللاحقة، وهو ما شكل لبنة أساسية لإرساء دعائم علاقات ودية ستزداد صلابة مع مرور الزمن.

---

47. البكري : م.س. ص : 112.
48. عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس طبعة القاهرة 1964 (ط 2)، ص : 97.
49. أحمد أمين : م.س، ص : 108.